اما ادموندز فيذكر ان معظم أهالي (تَويله) وهي قرية في هورمان في كُردستان العراق، صناع يمتهنون الصناعات اليدوية فضلاً عن إمتلاكهم البساتين.

و(كلاش: حذاء) تَويله مشهور في كُردستان، كما يذكر ادموندز الذي راقب إسكافياً كيف يصنع هذا الـ(كلاش)...

يضيف ادموندز ان صناعة هذا الحذاء الكُردي أو النعل يقوم على قطع القماش الباقي إلى قطعة صغيرة يقطعها بالعرض المناسب لكبر النعل المطلوب،

ويبدي ادموندز إعجابه بخطوات صنع هذا النوع من الأحذية والأدوات المستخدمة في صناعته، وهو مثل برانت يشير إلى حرفة جمع وبيع الصمغ ولكن هنا من أشجار الحبة الخضراء... (١٥٥)

صناعة الألبان

يحدثنا توما بوا ان صناعة الألبان هي من مهام المرأة الكُردية، فالنساء ينشغلن برعاية الشياه وصنع الزبد والجبن.

ويضيف كيف يصنع الزبد في كُردستان من الحليب الذي يسخن إلى درجة الغليان في قدر صغير ثم تضاف اليه ملعقة من اللبن الرئب الذي يعد خميرة للحليب ثم يترك هذا الخليط إلى اليوم التالي إذ يصبح لبناً (؟).

الغزل والنسيج

من الصناعات التي حظيت بإهتمام الرحالة في كُردستان الغزل والنسيج. ان توما بوا المستشرق الفرنسي المعني بشؤون حياة الكُرد يخبرنا بان بعض الأفراد الكُرد هم الذين ادخلوا إلى سوريا زراعة القطن منذ القرن العاشر. (٣١)

اما برانت فيحدثنا عن مشاهداته في مدينة وان الكُردية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر فقد شاهد في هذه المدينة الصغيرة أكثر من خمسمئة جومة لغزل ونسيج الأقمشة، وقد ذكر ان القطن كان يأتي وان من إيران وان بعض هذه الأقمشة كانت للاستهلاك في المناطق المجاورة وبعضها يرسل إلى بتليس بقصد الصبغ والتلوين (١٢٣). ويعلق برانت على أسعار هذه الأقمشة انها كانت زهيدة السعر. ويذكر برانت في موقع آخر من مذكراته انه شاهد في المناطق التي زارها إنتاج الأقمشة القطنية الخشنة وعلى نطاق واسع كما يتحدث على حرفة صبغ هذه الأقمشة القطنية. (٩٦)

ونعود إلى توما بوا لنجده يصف الحياكة الكُردية وصفاً دقيقاً وهو يقول، في كل أنحاء كُردستان تغزل النساء أصوافهن بهمة ونشاط فما ان يتوقف كل عمل آخر لديهن حتى يدور المغزل بين أيديهن بمهارة وبعضهن ينسجن على النول أيضا.

ثم يتحدث عن نوعين من الحياكة في كُردستان الأول يسميه العمودي ويعطي توما بوا تفاصيل الأداة هذه وهي خاصة بنسج البساط الكُردي والأغطية وتجلس امرأتان امام هذا النول.

اما النوع الثاني فهو الأفقي وهو أكثر تعقيداً من الأول ويستخدم في حياكة أقمشة الثياب. ويصف الحياكة الكُردية إذ يقول ان النسوة ينسجن مختلف أنواع السجاد من الصوف الممتاز أو من الشعر القصير وتظهر فيها صور مختلفة ذات ألوان حيوية مثل الأزهار والحيوانات أو الأشجار والعناكب. (٣٥)

ومن الطرق الطريفة التي جاء ذكرها في دراسة باسيل نيكيتين عن نوع من الأنسجة الغليظة التي تستعمل كبسط أو خيم أو معاطف ونعتقد انه يقصد ما يسمى عند الكُرد (كَبن) وهو نسيج صوفي سميك ومتماسك جداً، والطريقة ان تلف نفايات الصوف حول قضيب بطول متر ونصف المتر ويربط بطرف القضيب حبلان طويلان يعلقان في سرج حصان يطلق في البراري عدة أيام وهو يركض ويجر خلفه هذه الحزمة (٣٩)

الضيافة الكُردية

يجمع الرحالة والمستشرقون ممن زاروا كُردستان أو درسوا خصائص المجتمع الكُردي على ان الكُرد قوم مضياف . وقد وجدنا ان هذا الإجماع ناشيء عن ملاحظات يومية ميدانية استرعت انتباههم لا بل نجد في كتابات الكثير منهم لهجة الإنبهار والعجب من اثر هذه القيمة الإجتماعية -الضيافة- في حياة المواطنين الكُرد ورؤسائهم .

وسواء كانت زيارات هؤلاء الرحالة والدارسين زيارات طويلة ام زيارات عابرة لاتتعدى اليوم أو اليومين فانها تركت إنطباعات واضحة بعضها إنطباعات عامة شاملة وأخرى دقيقة وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل من خلال استعراض هذه الإنطباعات ومن ثم محاولة التوصل الى بعض النتائج.

لقد أثنى السير مارك سايكس الذي كان قد زار كُردستان قبل قرن من الزمان، في مذكراته على كرم وإحترام الكُرد للضيوف وذكر ان كل رحالة اجنبي قد ادرك مدى إحترام الكُرد له (٤٢٢).

يذكر هاملتون في نهاية العشرينات من القرن الماضي، ان الكثير من الأوربيين كانوا يجوبون البلاد الكُردية، ويوضح ان لرحلات هؤلاء الأوربيين مقاصد واغراض منها كما يذكر اغراض استعمارية أو تلك التي تتعلق بالكشوف الجغرافية أو التبشيرية ومنها ما يتعلق بالاغراض السياسية المستقبلية، وحتى بعضها كان لمجرد السفر والتسلية، وقد لاحظ هؤلاء ان الأكراد يستضيفون هؤلاء الرحالة برحابة صدر (١٩٢).

وقد خرج هؤلاء بإنطباعات عن الحياة والكرم الكُرديين وبعض هذه الإنطباعات كانت مبنية على المقارنة فهؤلاء قد زاروا كُردستان وزاروا قبل ذلك اقواماً وبلاداً أخرى.

ان سون (١٩٠٩) يرى الكُرد افضل من العرب والارمن والترك في حسن ضيافتهم (٥٩) وهذا قرار مهم أو إنطباع جدير بالإهتمام وهو يصدر من شخص عايش الشعب الكُردي كما عايش شعوباً أخرى ولفترات غير قصيرة. وسون يعد الكرم الكُردي عرفاً عريقاً في المجتمع الكُردي (٦٠). هذا ما جاء في زيارته الأولى لكُردستان في العقد الأول من القرن العشرين.

ونجد رأي ريج (١٨٢٠) مماثلاً تماماً لرأي سون الذي ذكرناه فهو يقول، حقاً لم اعهد من قبل طيلة حياتي مثل حسن ضيافتهم وكرمهم (١١٠) وهو هنا يقصد المجتمع الكُردي وعلى وجه الخصوص مدينة السليمانية عاصمة بابان آنذاك وهو يعجب (ضمنياً) من بعض القرى التي كانت قد تأثرت بالفرس آنذاك بسبب وطأة الحكم الفارسي عليهم وانحرافهم عن عادات

وتقاليد الكُرد في الضيافة، وعندما غادر في رحلة قصيرة الى بعض المناطق داخل إيران عاد مسرعاً ليقول شعرت بغبطة قلبية لنجاتي من ارض المشاكل والشحاذين ودخولي بلاد الضيافة الحقة وشعرت وكأني عدت الى داري (١١٤).

ان إنطباعات ريج عن الضيافة الكُردية كانت تتعمق ايجابياً كلما نزل في قرية كردية، اذ يذكر من ضمن إنطباعاته هذه، انه كلما جاء قرية خرجت جماعة من القرويين لحراسة مقره (١٢٩).

عندما مر بكُردستان اميديه جوبر مبعوث نابليون للتفاوض مع شاه إيران (١٨٠٥-١٨٠٦) ابدى إعجابه بكرم الكُرد وحسن ضيافتهم.

ويقول خالفين في معرض وصفه لإنطباعات جوبر، ان هناك حالة خاصة مثيرة للإهتمام فجميع المؤلفين تقريباً (يقصد من كتب عن الكُرد) الذين قدموا وصفاً زاهياً لميل الكُرد الى الغزوات يتكلمون في نفس الوقت ومباشرةً عن طبيعتهم الطيبة والمرحة وعن اكرامهم للضيوف وتفاؤلهم (٢٤).

ويقول جوبر كما جاء في خالفين، الناس يضعون الغنائم على الطريق ويجلسون معاً مبدين ايات كرم الضيافة لهذا فان السائح المجرب في الشرق لن يداخله ادنى رعب في هذه البلاد حيث تسود النية الحسنة ويظهر الكُرد كل هذا، فلدى ظهور الغريب المحتاج لشيء ما ويقترب من احد طوائفهم، يخرج اليه بعضهم ويقولون اهلاً ومرحباً، اعتبر نفسك في منزلك، نحن ننتظر بفارغ الصبر الساعة التي نستطيع فيها ان نستضيفك (٢٥). ثم يمضي جوبر يذكر بإعجاب روح الود التي يظهرها الكُرد عند تقديمهم الطعام والشراب الى ضيف طاريء والى حصانه وتزويده بالذخيرة للسفر واهدائه أنواع الهدايا.

اذن وحسبما ذكره جوبر فالكُردي لاينتظر ان يطرق بابه لكي يستضيف بل ما ان يقترب غريب منه حتى يهب ليستضيفه والاعتناء به واشعاره بانه ضيف عزيز كان يتمنى زيارته ويهتم بحصانه ويقدم له هدية عربوناً لصداقته.

لقد اثنى بورتر في رحلته إلى كُردستان (١٨١٧-١٨٢٠) على روح الضيافة عند الكُرد وجعلها من التقاليد الموروثة ولكنه لاينسى ان يذكر ان السلب بدوره قد اصبح موروثاً عاماً وانه لكرم ان لايهاجم شخص يعبر الحدود (٤٥٣).

ان تعليق بورتر يؤكد ما ذهبنا اليه في فصل الحرب والسلاح وفي فصل القبائل ان الكُرد ميالون للغزو أو السلب في المواقع الحدودية أي السلب الذي يتخذ طابع التحدي للسلطات.

اما جيمس كريج (١٨٨٠) فيذكر انه خلال جولته بين فارس وبايزيد في كُردستان

الشمالية كان ينام في خيام الكُرد ويقول لدي كل الاسباب لان اثمن الإحترام والإهتمام اللذين لقيتهما عند الكُرد وحسن المعاملة والسخاء وادب الضيافة الذي احطت به من قبلهم (٢١٠).

اما ميلنكن (في نهايات الستينيات من القرن التاسع عشر) فقد اشار إلى توافر المواد الغذائية الاساسية في القرى الكُردية عندما يضطر المسافرون للتوقف في احدى القرى ليلاً، فهناك القمح والطحين والزبدة والبيض وهو يثني على الضيافة الكُردية ولعل هذا الثناء جاء من مقارنته القرى الكُردية بالقرى الارمنية التي جاء ذكرها في كتابه وكتب غيره من المؤلفين عن الذين كانوا يعتذرون عن الاستضافة بحجة انهم متأهبون للسفر واللحاق بجماعتهم التي غادرتهم تواً. وكذلك يصف ميلنكن الإحترام الشديد لأبناء القرية له وحرص المضيف على راحته ويذكر هنا اسم بهرام على سبيل المثال كواحد من مضيفيه (١٠٣).

ان هذا يبدو امراً في غاية الاهمية اذا ما علمنا ان كثيراً من الرحالة كانوا يتعرضون أثناء رحلاتهم في بلدان مختلفة الى اشكال من السطو واغتصاب الممتلكات. ولعل بعضهم لم يكن يحلم بالضيافة قدر ما يحلم ان يمر من هذا البلد أو ذاك دون ان يساء اليه أو الى حياته أو ممتلكاته الخاصة فكيف هي الحال عندما يفاجأ الرحالة بهذه العادات والتقاليد التي تحترم الضيافة وتعزها وتنزلها منزلة رفيعة وتجلها ايما اجلال؟

وهذا ما يؤكده خالفين من عدم وجود حالة واحدة من حالات الاساءة إلى الضيف الاجنبي في كُردستان. ان بعض هذه الإنطباعات مرّ عليها ما يقارب قرنين من الزمن ولكننا ما زلنا نشهد في بعض المجتمعات ونحن في القرن الحادي والعشرين ان السواح الابرياء يؤخذون رهائناً!

ان ماليبارد (١٩٥٦) الذي زار كُردستان في خمسينيات القرن العشرين يعطينا صورة مفصلة عن الضيافة الكُردية سنوردها من بعد في هذا الفصل لكن الاسطر الأخيرة من إنطباعاته عن الضيافة الكُردية تعد إنطباعات واضحة اذ يذكر، انه يحتفظ باحسن الذكريات واطيبها وستبقى عالقة في ذاكرته صور هذه البلاد التي هي موطن الاغراء والسحر وصور شعبها الابي فقد اعجب بكرم الضيافة وحسن الوفادة (٢١٩).

ان قيمة حسن الضيافة والرغبة في خدمة الضيف واشعاره بالمودة والإحترام عبرت عن نفسها باشكال عديدة في المجتمع الكُردي لذا لانستغرب اذ ما وجدنا في بيوت ناس من عامة الشعب عشرات الفرش والملاءات واللحف النظيفة والملونة باشكال جميلة والمرصوصة بعضها على بعض بشكل منتظم وهي تفوق بكثير الحاجة الحقيقية للعائلة. لقد اعدتها العائلة تحسباً من اجل الضيوف. اما في العوائل الموسرة فقد عبرت هذه القيم عن نفسها بتخصيص (مضيف) في الدار أي ما يسمى بـ(الديوان خانه)، هذا ما نجده في المدن الكُردية عند

الاثرياء وفي القرى الكُردية عند مختار القرية أو الاغا.

لقد جلبت الديوان خانة إهتمام الكثير من الرحالة وكتبوا عنها ووصفوا تقاليدها من حيث هي رمز متطور لقيم حسن الضيافة لدى الكُرد الى جانب إهتمامهم بتقاليد عامة الشعب والفقراء في إحترامهم للضيف واحتوائهم له داخل البيت الكُردي.

يصف هَيْ الذي عايش أربيل وما حولها في الفترة (١٩١٨-١٩٢٠) المضيف الكُردي أو الديوان خانه من حيث انه ممثل لقيمة إجتماعية تحدد مدى فروسية (رجولة) صاحب المضيف ومن حيث الخصوصية المعمارية لها، اذ يقول لقد امضيت مئات من الساعات في مضائف مختلف الزعماء ومختاري القرى ابان ثوائي في كُردستان و فيها تعلمت هذا القليل الذي اعرفه عن الأكراد و لغتهم.

لقد صرفت جل المهام الخطيرة فيها. ان ناموس أي زعيم ليرتكن الى هذه الـ(ديوانخانه) الى حد كبير اذ كلما زاد قراه زاد حقه في ان يسمى (بياو) أي رجل. وتشاهد المضائف في ابرز قسم من القرية وقد تتألف من غرفة الى ثلاث غرف على وفق ثراء الزعيم الذي يملكها.

ويذكر هَيْ مثلاً عليها، وهي ديوانخانة (أحمد باشا) اغنى زعماء قبيلة الـ(دزَيي) انها مبنية لتكون ثلاثة جوانب من مربع على قمة رابية كبيرة وتواجه الفتحة فيها جهة الشمال ويتألف الجناح الشرقي من غرفة واسعة مساحتها نحو (٤٥) قدماً في (١٥) تتخذ في الشتاء سكنا وفي الصيف يستضاف الضيوف في الشطر المركزي فيها وهو على شكل طارمة . ان الجانب المسدود الكائن جنوباً فيه نوافذ صغيرة تحدث تياراً. وفي الامكان سدها ان كانت الريح غربية محملة بالتراب. ويتألف الجناح الغربي من غرفة صغيرة تحفظ فيها أواني الشاي والفرش وفيها يجلس الخدم يثرثرون. وثمة باب صغير هاهنا يفضي الى خدر النسوة وهو مبني باعتاده الجناح الغربي.

ان اشيع طراز من طرز الديوانخانه يتألف من غرفتين بينهما شرفة صغيرة وفي الصيف تبنى (صفّه) عالية في الخارج من اللبن أي من (الطين والتراب مختلطين) ولايمكن الافادة من هذا الا عندما تبدا الشمس بالغياب وما لم يتوافر الخشب لبناء (جرداغ) والجرداغ يتألف من سقف من عساليج الشجر تكسوها الاوراق وترتكن الى اربعة عمد وهو يشاهد في الغالب فوق حوض ماء من صخر ينساب اليه مجرى الماء. وعلى مثل هذه الحال يكون ملجأ بارداً في يوم صيف حار.

ولكل المضايف تقريباً جامع صغير ملحق بها وفي كثير من القرى تتخذ المضافة مسجداً وتسمى باسمه. ولايعترض احد على اقامة الأوربي في احدهم.

وفي الشتاء تجري تدفئة الغرفة الرئيسية بموقد مفتوح كائن في وسطها وينفذ الدخان من وسط السقف الى خارجه (وقد لاينفذ حسب الاحوال ايضاً) وفي كثير من المرات يجري الدمع من العينين بسببه لكن الأكراد على ما يتراءى لايأبهون بذلك الا قليلاً.

وتبنى المضائف بالعمل المجاني فذلك أحد واجبات القرويين بإزاء زعيمهم أو مختارهم (٦٨-٩).

ويؤكد ادموندز الذي وصل كُردستان في ١٩١٩ ان المضيف (الديوانخانه) اهم مظهر إجتماعي في القرية لان اهل القرية يجتمعون فيه وهو يقوم بدور النادي (٩٦).

ان ما ذهب إليه ادموندز في منتهى الصحة ذلك أن الديوان خانه تجمع أبناء القرية وكذلك فان أهل القرية يمكنهم مشاهدة الضيوف الوافدين على (الاغا) وهم هنالك يستمعون إلى أخبار العالم الخارجي أي الأخبار خارج قريتهم ثم انهم كثيرا ما يشهدون المشاكل التي تصل إلى الآغا أو المختار وعليه أن يجد حلاً لها فضلا عن أن الديوان خانه تهيء لاهل القرى أحيانا فرصا من التسلية اذا ما توافر من يغني سواء من داخل القرية ام من كان وافداً عليها فيقضون ليلة ممتعة بالاستماع الى اغاني الملاحم القتالية واغاني الحب الرفيع. فهناك هاجس اخلاقي في مجمل اشكال التصرف داخل الديوان خانه لعل السبب في ذلك هيبة الآغا المتصدر الجلسة فضلاً عن الجمع القريب من الآغا مثل كبار السن ورجال الدين ممن يضفون على الجلسة نوعاً من الوقار.

ان ما ذهب اليه ادموندز من ان الديوان خانه هي نادي القرية ذهب اليه هَيْ ايضاً وبالمعنى ذاته.

ومعظم المصادر المعنية بالضيافة الكُردية اكدت حسن التصرف داخل الديوان خانه، وان الكثير من الجالسين يبقون مستمعين ولايتكلمون وتكفيهم متعة السماع.

ويذكر هَيْ ان متقدمي القرية يفدون الى المضيف ويسمعون حديث الزعيم مع الضيف ولايشتركون ويذكر انهم على حظ كبير من الجفاف ويلتزمون الصمت كأنما على رأس احدهم الطير قد وقع وليست لديهم اي فكرة تحدوهم للحوار (٧٢).

ويشير الرحالة والمستشرقون الى عادات وتقاليد ترتبط بالضيافة والمضيف الكُرديين وكذلك يشيرون الى الخدمات التي تقدم للضيوف من الطعام والشراب والاعتناء بالخيول والبغال.

يذكر ريج في رحلته، الى ان باشا السليمانية كان يردف زيارته الى ريج في مقر سكناه بهدايا كبيرة من مؤن وأغنام (٥٣).

اما مصرف، الشخصية البابانية المعروفة (رئيس وزراء الامارة) فقد اهدى ريج جواداً، ويذكر ريج ان الخادم الذي جاء بالجواد بدأ يبكي عندما شعر ان ريج سيهدي الخادم هدية، اذ كان الخادم يخشى قبوله هدية من ريج فالضيف لايهدي، في التقاليد الكُردية وربما غضب سيده لذلك (٨١).

ومن امثلة الهدايا ما يذكره برانت (١٨٣٨) وهو يجوب منطقة كُردستان تركيا فقد اهدى قاضي حاضرة شيفلي مهرة جميلة لبرانت الذي اعتذر عن قبول الهدية على الرغم من ان عينيه المعجبتين كانتا تلاحقان المهرة الجميلة (٧٦).

والامثلة كثيرة على الهدايا التي تهدى للضيف في كُردستان وقد جاء ذكر ذلك في مذكرات الكثير من الرحالة ممن وصفوا اشكالاً من الهدايا كالخيل والفرش الثمين والمسدسات وحتى المواد الغذائية والخراف.

ان في تكريم الضيف قيماً مركبة لاتقف عند حدود التضييف والتكريم ذاته بل تتجاوزه في اضفاء قييم على المهدي والمهدى.

ومن اشكال الاحتفاء بالضيف اذا كان ذا منزلة، ان ينادى على مغني القرية ويطلب منه الغناء لتسلية الضيف. والغناء الكُردي عادة في مثل هذه المجالس يتسم بالغناء المحتشم وبالايقاعات البطيئة (اللاوك أو الحيران) ويتجنب المغني الاغاني الخفيفة (البستة) لان الاغنية الخفيفة هي ليست اغنية مجلس أو اغنية احتشام. وكلما كانت الاغنية ملحمية مدارها الحرب والرجولة وقوة الشكيمة فان الانصات لها يكون أكثر هيبة.

ويبدو ان الإزدهار الحضاري في عاصمة البابانيين كان قد طور هذه العادة الاحتفائية. ان ريج يذكر في رحلته الى السليمانية ان عثمان بيك هيأ جوقة موسيقية لتسليته ويبدو ان هذه الجوقة كانت قادمة من بغداد لإحياء حفلات غنائية في السليمانية آنذاك أي في عام ١٨٢٠ (٨٥).

ومن تقاليد الكرم، والضيافة عند الكُرد تزويد الضيف عند رحيله بما يحتاجه في سفره من غذاء .

ان ادموندز يشير الى هذه المسألة اذ يقول عندما لايكون الآغا موجوداً فان المختار يكون مسؤولاً عن الضيافة وكذلك فان هناك ما يشبه الاجماع في مذكرات الرحالة والمستشرقين من ان سفر أو ابتعاد صاحب الدار عن داره لايعفيه من واجبه في استقبال الضيف والاحتفاء به، هذا ما تقوم به الزوجة دون تردد وبكل شجاعة (٩٦) وهذا ما جاء ذكره في باسيل نيكيتين عن سون، ان ربة البيت الكُردية تستقبله كضيف بغياب زوجها بدون خجل مصطنع مثلما هو

عند التركيات أو الفارسيات (٨٨).

ولايخفي شميدت إعجابه بروح الضيافة التي تتمتع بها الاسرة الكُردية وما تتمتع به ربة البيت من حس إجتماعي وتربية مستقلة (٢٤٠).

ان شميدت يكاد ان يقول من خلال مقارنات بين الاسرة الكُردية وغيرها من الاسر ان المرأة الكُردية لاتشكو من امراض في شخصيتها.

اما بورتر فيؤكد ان المرأة الكُردية شبيهة بالمرأة الإنكليزية الريفية في استعدادها واداء ما عليها القيام به إزاء الضيف بكل ثقة وخلق (١٩٨).

ولكن مع هذا فان الاسرة الكُردية لاتضع كامل ثقتها بكل من هب ودب بل قد تكون هناك نسبية في مدى أو شكل الاستضافة.

ولعل ما أورده سون عن رحلته في كُردستان ونزوله في احد بيوت قرى عشائر الملي وهي تمثل بدايات المنطقة الكُردية أي منطقة محاددة للاراضي التركية ويبدو ان المختار كان قد اختار للضيف سون البيت الذي سينام فيه تلك الليلة، ودهشته في ان الاسرة المضيفة ستنام مع ضيفها في حجرة واحدة، يضعنا امام مدى إحترام الضيف من جهة والنسبية في التعامل من جهة أخرى. يقول سون، كنت اعد نفسي للمنام حين دخلت امرأة شابة وشرعت في كنس الغرفة بحزمة من الغصون. من الطبيعي ان اجلس وانظر اليها بشيء من الاستغراب ولم يقلل من ذلك اخراجها فراشاً من فجوة ووضعه بمقربة مني وما كنت في وضع استطيع فيه ان اعلق بشيء على ما ارى اذ يبدو انها ستنام في الغرفة نفسها ولكن ظهور احد الاشخاص ممن كان يسامرني مع اهل القرية انقذ الموقف لقد شاهدني جالساً وسألني لما لم انم وكأن ما جرى امر اعتيادي لايتطلب التعليق ثم علمت منه انه رب البيت والتي نظفت الغرفة زوجه وان ليس في القرية افضل من غرفتين للنوم فيها (لعل الأخرى كانت مشغولة بضيوف آخرين). لذا فانه وزوجه سينامان في هذه الغرفة مع ضيفهما وكأنه قرار نهائي.

ويعلق سون، لقد تراءى لي انه هاديء في اجراء ذلك بحيث لم استطع التعليق على عادة الاباء الاولين الصرفة والذي علمته لو كنت تركياً أو عربياً لطلب مني ان انام في العربة (أي خارج الدار حيث العربة التي تقله في رحلته) ولما كنت كردياً (لقد اعتقدوه كردياً لانه يتكلم الكُردية) وضيفاً فعلي ان اعذرهم في اشغال الغرفة التي كانت لي حصراً وتراءى الرجل الفقير خجلاً نوعاً ما (١٦١).

ان عفوية الكرم الكُردي إستهوت الكثير من الرحالة فهذا شميدت لايخفي دهشته من الأم التي ارسلت صبيها من اعلى الجبل اليهم ليحمل لهم ماء بارداً في قيظ الصيف وهي مسافة

ليست قصيرة وفيها الكثير من المشاق للصبي في نزوله ثم عودته متسلقاً كذلك لايخفي شميدت دهشته من طفل قدم لهم ما يحمله من عنب واصر ان يأخذوه معتذراً انه ليس من النوعية الفاخرة جداً خجلاً ان لايكون العنب في مستوى الضيف بعد ان علم الطفل ان الضيف غريب. ان شميدت لاينسى منظر الطفل وسلة العنب على رأسه وهو يتوسل اليهم... (كلوا ما طاب لكم) (٢٤٠).

اما ماليبارد بدوره يؤكد حسن معاملة الكُرد للضيف فهو كما يقول يحومون حوله كالحارس الأمين كما لاحظ ماليبارد انهم يشعرون الضيف بخفة ظله وسعادتهم به من خلال ملامحه التي كانت تشعر ماليبارد بالبشر (٢١٨).

والحقيقة فهذه حالة يشعر الضيف بالحاجة اليها لاسيّما اذا كان الضيف حساساً فالضيف غالباً يقرأ مدى الترحاب الحقيقي في عيون صاحب الدار.

لقد دأب الكُرد على الترحيب المبالغ به، صاحب الدار وامرأته وأولاده وحتى الجيران فإذا كان هذا حال المواطن الكُردي البسيط في خدمة الضيف وإحترامه واعزازه فيمكن ان نقدر كيف يكون مستوى الاستضافة عند الآغا أو رئيس القبيلة أو الباشا. لقد ذهل الرحالة و الاجانب من كرم الضيافة التي وجدوها عند رؤساء الكُرد ولعل اول ما اذهل هؤلاء الضيوف حرارة الاستقبال وعظم الحفاوة وقد يكون من الممتع ان نطلع على بعض اشكال استقبال الضيوف من قبل الرؤساء الكُرد أو من ناب عنهم في حينه.

ان حسن الاستقبال، أي لحظة وصول الضيف تترك أثرها الطيب والإيجابي في نفس الضيف وهذا ما نجده في إنطباعات الزوار الاجانب فقد كانت لحظة اللقاء الأولى دوماً موضع جذب للانتباه ويكاد يجمع الرحالة على اثر اللحظة الأولى في لقائهم لمضيفهم.

لقد وصف ريج طقوس الاحتفاء بزيارته الى مدينة السليمانية عام (١٨٢٠) بشكل مسهب ومفصل لا بل جاء ذكر هذا الجانب من الزيارة اوسع بكثير مما اشار اليه غيره من الرحالة والمستشرقين ويبدو ان مستر ريج كان قد زار السليمانية بدعوة أو كما يذكر بدعوات ملحة من بعض اصدقائه في السليمانية ونحن نعتقد ان كبار المسؤولين في امارة بابان كانوا يرغبون في هذه الزيارة وقد اشار ادموندز الى هذا اذ يقول، ان ريج زار السليمانية بدعوة من الباشا (٥٦) ويقصد محمود باشا أمير بابان.

وبالرغم من ان هذه الزيارة كانت زيارة رسمية الى المنطقة كما يسميها ريج ولا بد ان تحظى بإهتمام مميز لكننا وجدنا هذا الإهتمام قد فاق الإهتمام الرسمي التقليدي وعبر عن روح مضيافة لدى اهل المدينة واميرها والمسؤولين من رجال الامارة.

لم ينتظر محمود باشا وصول مستر ريج الى السليمانية لاستقباله بل ارسل رسلاً قبل اسبوعين من وصوله السليمانية اذ وصل مستر ريج السليمانية في ١٠ ايار بينما يذكر في مذكراته يوم ٢٦ نيسان انهم وجدوا رسولاً من محمود باشا، أمير السليمانية، بانتظارهم وكذلك يقول وقد جاءنا مساء الامس مراسل منه يستفسر عن وصولنا ليقف على الطريق التي نروم سلوكها وقد سافر كلاهما -أي الرسولان- صباح اليوم قاصدين السليمانية حيث سيرسل منها الباشا رائداً (مهماندار)* يستقبلنا في (قره حسن) وطريق (قره حسن) هو الذي استقر رأي ريج على سلوكه اخيراً لسهولة سير التختروان** عليه.

ونزولاً عند رغبة الباشا يذكر ريج انهم ضربوا مخيمهم على الضفة اليسرى من (سرجنار) حتى يتم للباشا التهيؤ لدخول الضيف ريج عاصمة امارة بابان السليمانية (٤٨) ويبدو ان الباشا كان قد ارسل رئيس وزرائه محمود آغا مصرف لاستقبال ريج قبل دخوله السليمانية كذلك عم الأمير عبدالله باشا، وهو على ما يبدو من اصدقاء ريج وفي اخر مضرب حط به مستر ريج قبل دخوله السليمانية بعد مغادرتهم لـ(سرجنار) زار أمير بابان محمود باشا بنفسه ريج مستقبلاً اياه قبل دخول الضيف المدينة ويذكر ريج معلقاً على ذلك ان الأمير قام بهذه الزيارة مرحباً بنفسه بقدوم ريج إلى بلاده وكذلك يذكر ان هذه الزيارة تعد تكريماً غير متوقع وبرهاناً عظيماً على نزعته الودية الكريمة (٥٠).

وفي هذا المضرب الأخير قبل دخول مدينة السليمانية كان الكثير من السادة الكُرد من رجال محمود باشا أمير بابان في استقبال ريج وبعد أن رحبوا به انصرفوا فوراً وقد استبقي شخصان فقط لملازمة ريج والقيام على خدمته.

ويذكر ريج هنا قائلاً كنا نتوقع مكابدة بعض المتاعب من المتجمهرين وذلك لان الأكراد مشهورون بدقة الملاحظة وحب الاستطلاع ولأننا كنا أول جماعة أوربية لم ير أكثرهم مثيلاً لها من قبل، غير انه لم يقترب منا أحد إلا من كان واجبه يقضي عليه ذلك .وقد علمت ان ذلك كان نتيجة لأوامر محمود باشا (٥٠).

ومن الصور الجميلة التي تعكس طقوس الضيافة الرسمية آنذاك قبل قرنين تقريباً، الترحيب الرسمي لباشا السليمانية بالضيف ريج قبل دخوله مدينة السليمانية، اذ يصف ريج هذا اللقاء قائلاً، قمت بخير الاستعدادات التي استطعت القيام بها في موقعي هذا لاستقبال محمود باشا وبعد العصر بقليل اعلن قدومه. وكان منظر موكبه بدائياً مفرحاً، لقد كان وحده

* مهماندار: رتبة عسكرية.

** التختروان: هودج موضوع على خشبتين متعرضتين بين مطيتين الواحدة أمام الأخرى (أنظر: ريج، صفحة ٢ الهامش.

ممتطياً جواداً ولما كان رجلاً صغير الجسم جداً فقد كان يخفى عن الأنظار بجمهور من الأكراد طويلي القامة وقد ارتدوا ملابس ألوانها قوس القزح من الوردي والأصفر والقرمزي، وكانت هذه الألوان هي الغالبة في أهداب (شراشيب) أغطية رؤوسهم، وكان الموكب صامتاً ووقع أقدامهم يسمع من بعيد وعندما أدى حرسي -أي حرس ريج- التحية ردها الباشا بوضع يده فوق صدره بوقار عظيم وقد ارسلت عرفائي للقياه وخرجت شخصياً بعيداً عن باب الخيمة وجلسنا سوية على بساط احضرته خصيصاً لهذه المناسبة وقد تمكنت بصعوبة من إقناعه على ان ياخذ جلسة مريحة ويجلس القرفصاء اذ كان مصراً ان يتجشم صعوبة الجلوس ليظهر الإحترام الزائد بالركوع مستنداً على كعبي قدميه وقد رحب بي وبزيارتي لكُردستان مرة بعد أخرى مؤكداً لي بان بلاده بلادي مكرراً كلمات المجاملة (٥١) ويبدو من اشكال الاحتفاء بالضيف احراق البخور ورش ماء الورد، هذا ما يذكره ريج، فيقول بعد ان دخنت الغلايين وأديرت كؤوس الشربت واحرق البخور ورش ماء الورد رجع الباشا مع اتباعه (٥٢).

الحقيقة ان خروج المضيف (بكسر الياء) أو صاحب الدعوى خارج داره أو قريته أو مدينته لاستقبال الضيف عادة من عادات الكُرد القديمة وهي لاتتبع مع الكل بل مع الضيوف من ذوي المستويات الرفيعة جداً وممن يعرف تاريخ اقترابهم أو بلوغهم مشارف المدينة أو القرية وهي غالباً تتبع مع الضيوف ممن وجهت لهم الدعوة وعندما يكون للضيف منزلة إجتماعية أو سياسية أو دينية لدى أهالي المدينة أو القرية ولاسيّما لدى الأمير أو الباشا أو كبير القوم فان أهالي المدينة لايتوانون عن الخروج الى اطراف المدينة أو القرية مستقبلين الضيف هذا ما نجده في مثال استقبال أهالي السليمانية وعلى رأسهم الشيخ محمود الحفيد للمناضل الكُردي المعروف إسماعيل شكاك (سمكو) قائد الحركة التحريرية الكُردية في إيران في العشرينات من القرن العشرين.

اما الجلسة المتعبة التي جلسها أمير بابان فهي وان كانت لاتصح أو مبالغ بها، ذلك ان ريج لم يكن أميراً ولكن لان ريج كان ضيفاً من جهة وممثلاً لاقوى دولة في العالم آنذاك من جهة ثانية اراد محمود باشا ان يقدم له اقصى درجات الإحترام ومن خلاله الى حكومته (المعظمة) آنذاك وان يشعره بمودته وتقدير الكُرد الى شعب وبلاد ريج، وتجدر الاشارة هنا الى ان بريطانيا آنذاك أي في ١٨٢٠ لم تكن قد استعمرت العراق أو أي جزء من كُردستان.

وقد دخل ريج مدينة السليمانية وحل ضيفاً عليها في العشرين من شهر ايار بناءً على رغبة الأمير وهو الصباح الذي اقر المنجمون ملاءمته لدخول ريج المدينة، هذا ما يعتقده ريج، اما هل يقف المنجمون وراء هذا التاريخ فهذا ما لانجد ما يؤيده. ربما كان مجرد اعتقاد أو شك قد انتاب ريج.

لقد استقبل ريج استقبالاً رسمياً من قبل الباشا الذي كان قد ارسل باخيه الصغير عثمان بك لياخذ ريج الى المدينة وبرفقته اعضاء مجلس الباشوية جميعاً أي (الحكومة) وكان هؤلاء على ظهور جيادهم ترافقهم جماعة كبيرة من المشاة الأكراد.

لقد كان عثمان بك الشقيق الاصغر للأمير كما يصفه ريج حريصاً على عدم فوات الوقت المضروب لركوب الخيل فقد كان ينظر مراراً الى ساعته وهو يحدث ريج.

لقد نهض الاثنان ريج وعثمان بك وبدأ الموكب بالدليل ثم نافخ البوق وبعده حامل الراية. لقد كان نافخ البوق يعزف مقطوعة المسير الإنكليزية ويعلق ريج ان العزف لم يكن رديئاً.

وحمل راية الصليب (الراية البريطانية) رجل تركي يتبع هؤلاء ثلاثة خيول مسحوبة يعقبها رئيس السواس ثم العرفاء أو المشاة المدججون بالسلاح ومن ورائهم جنود معهم طبولهم ومزاميرهم بعد ذلك مستر ريج الذي كان راكباً جواداً وعلى طرفي الجواد رجل مسلح كل منهما يحمل طبراً ودرعاً ويمسك باحد الركابين لجواد ريج وبعد ريج ياتي المستر بيل لي نو والدكتور موران دو وهؤلاء كانوا في معية ريج في رحلته وبعدها عثمان بك اصغر اخوة محمود باشا أمير بابان وهو يمتطي جواده يعقبه نسق مؤلف من زهاء ثلاثمائة من المشاة الكُرد ويعقب عثمان وجماعته اعضاء مجلس الباشا ثم بعض الموظفين المصاحبين لمستر ريج في رحلته وينتهي الموكب (٥٤-٥).

وقد استقبل الباشا مستر ريج عند الباب واخذه الى كرسي في صدر الغرفة ويذكر ريج بإعجاب مدى الإحترام الذي حظي به من قبل الباشا ورجاله ولقد اختار له افضل منزل في السليمانية لبث فيه مدة اقامته كما ان الباشا كان يعوده بين حين وحين في منزله.

ويتحدث ريج عن أحاسيس الناس (الرأي العام) في استضافته ويورد مثلاً عن مواطن خاطبه في احدى شوارع المدينة قال له انك اول إنكليزي رأيناه هنا وانت ستكون مدار حديث احفادنا واننا لمغتبطون لوجودك بيننا وقد رددت الجماعة كلها هذا الاحساس (٧٧).

لقد امر الباشا بتنظيم حراسة للمحافظة على سلامة الضيف ريج، ويبدو ان ريج امتعض من تصرفات الحراس الذين بسبب إهتمامهم الكبير بالضيف ومغالاتهم في ذلك أساءوا الى العوائل القاطنة في البيوت المجاورة للبيت الذي يسكنه ريج فقد كان لايريد ان يكون الإهتمام الزائد براحته سبباً في التجاوز على الدور المجاورة (٦٥). كذلك استنكر ريج في مذكراته استخدام الشرطة للهراوات والضرب بها على رؤوس المواطنين المحتشدين لرؤية ريج أثناء دخوله مدينة السليمانية فقد كانت الشرطة تحاول ابعاد المواطنين المحتشدين عن ريج الضيف. ان هذا الاسلوب القاسي لم يرق لريج (٥٦).

لقد كانت دورية الحراسة تتألف من ضابطين وخمسة عشر جندياً لتدور خارج الدار طيلة الليل ولتمكين الدورية الكُردية من اجتياز الحرس الذي كان في معية ريج اصلاً فقد تعلم افرادها عبارة (من المتقدم) و (صديق) الإنكليزيتين.

ويعلق ريج على ذلك، انه لامر غريب ان نسمع الأكراد في السليمانية يحاولون تلفظ تلك الكلمات باللغة الإنكليزية وقد تعلموها من الجنود الهنود المسلمين ومن رعايا (بريطانيا العظمى) الذين اخبروني بان هؤلاء يعرفون الغرض من سر الليل ايضاً (٦٥) .أي ان الحرس في السليمانية آنذاك كان يستخدم (سر الليل) لاجتياز الاماكن.

ان الوداع، وداع الضيف جزء من طقس الضيافة في كُردستان فقد زار محمود باشا مستر ريج في محل اقامته لغرض التوديع ويذكر مستر ريج الوداع، فبعد حديث شيق دام ساعة ونصف نهض الباشا ليعود و عندما ودعه انخفض صوته وارتجفت يده وهو يصافحه ويذكر انه بدوره كان مكروباً مثله لمفارقته اياه. لقد رجاه الأمير ان يراه ثانية وقال(اني اخشى ان لانرى بعضنا مرة أخرى) (٢٣٠). لقد بدأت زيارة ريج في ١٠ ايار وانتهت في ٢٥ تشرين اول من عام ١٨٢٠.

ويعلق ريج على هذه الزيارة، وهو ينتهي منها، انهم بذلوا جميعاً ما في وسعهم لعودتنا الى بلادهم في العام المقبل ويقول، واني اشعر بحزن عميق حقاً كلما خطرت ببالي مفارقة هؤلاء الناس المخلصين واحتمال عدم رؤيتي لهم ثانية، واشعر باني ساقضي ردحاً من الزمن لايستهان به قبل ان احظى بالعيش بين اناس يبذلون ما في وسعهم في سبيل اعزازي بلطف عميم وضيافة كريمة اينما ذهبت وحللت (٢١٧).

بعد ان استعرضنا اشكال الحفاوة التي حظي بها ريج وهو يحل ضيفاً على شخص كردي في موقع المسؤولية الرسمية يمكن ان نلتفت الى إنطباعاته وهو يزور شخصية كردية خارج المسؤولية الرسمية اذ هو واحد من رؤساء القبائل الكُردية ونقصد بذلك كيخسرو بك الذي كان يرأس عشائر الجاف انذاك وقد التقاه ريج في السليمانية ووجه اليه دعوة لزيارة مضارب الجاف فقبلها ريج.

قبيل بلوغ مضارب كيخسرو بك كان بانتظارهم اربعة من عرفاء البيك وكانوا وسيمي الطلعة وفرسان ماهرين. ورافق هؤلاء موكب مستر ريج، وقبل وصوله وجد كيخسرو بك في استقباله ممتطياً جواده الجميل ويعلق ريج على هذا الجواد انه كان من اجمل الخيل التي رآها منذ عدة سنوات مضت، وكان يرافق كيخسرو بك اولاده الثلاثة ومحمد بك وهو نجل قادر بك رئيس عشائر الجاف السابق.

يذكر ريج ان البك كان في حالة نفسية مرحة وهو يستقبله كما كان انيقاً في ملبسه مثلما كان اولاده وكان بصحبة البيك ثلة كبيرة من فرسان الجاف بمظهرهم الجميل فبدأوا بمباريات الجريد استمرت طيلة الطريق حتى المضرب، اظهر الشبان فيها مهارتهم وكانت خيم البك من النسيج الاسود المعتاد (بيوت الشعر) وهي واسعة عالية تحيط بها السياجات والحصران وقد اعدوا للضيف مستر ريج خيمة ديوان من الجنفاص ليستقبل فيها زواره وسيباط مريح يعود الى حرم البك تخلوا عنه لسكنى مستر ريج وقرينته التي كان نسوة البيك ينتظرنها في السيباط لاستقبالها وكان الاستقبال في غاية اللطف وحسن الضيافة (١٣٢).

ويذكر ريج عن زيارته لكيخسرو بك انهم قدموا له اشكالاً من التسلية فقد اقام البكوات الشبان بعد ظهر اليوم التالي لبدء زيارته مباراة جريد في حضور زوجة ريج واظهروا فيها مهاراتهم كما قضى ريج سهرته مع كيخسرو بك وهما يسمعان بعض الاغنيات غناها لهما (منلايان).

ان ريج ينهي ذكرياته عن التقائه بكيخسرو بك بإنطباعه عن كرم هذا الشخص وحسن ضيافته اذ يقول ودعت مضيفنا الكريم الذي لاأنسى كرمه البريء مطلقاً (١٣٤).

ونعود الى سون ثانية الذي زار كُردستان متنكراً على انه تاجر فارسي من شيراز، فإنه يعمد في مقدمة مذكراته إلى توضيح ما يوحي بالتحيز الى الأكراد اذ يقول، ولعل لهجة السرد تحمل على الاعتقاد بالتحيز الى الأكراد وآية ذلك اني لقيت من هؤلاء القوم عطفاً اصيلاً سابغاً يفوق ما لقيته من أي جمع غريب آخر قدر لي ان اتصل به في اماكن أخرى واني لمدين لهم بكثير من الفضل (١٠).

وعلى الرغم من اننا ذكرنا بعض إنطباعات سون عن الضيافة في بعض القرى الكُردية في كُردستان تركيا فاننا سنذكر هنا استضافة سون في حلبجة، في مقر زعامة عشائر الجاف اذ مكث هناك فترة طويلة نسبياً.

كان سون، كما يذكر قد صادف في رحلته احد التجار من حلبجة وقد اشار عليه هذا ان يحل ضيفاً عند عادلة خانم، أو السيدة عادلة، وهي سيدة مدينة حلبجة واسرة الجاف. ويضيف سون انه لم يكن في حلبجة انذاك (خان) ينزل فيه الغرباء بل كانت الناس تستضيف الغرباء في بيوتها، وقد اوضح ذلك التاجر من حلبجة ان عادلة خانم سوف يسؤها ان لايحل ضيفاً عليها وهو في هذه المنزلة الثقافية اذ يقول في هذا الصدد، ولقد اصر هذا على ان – معلوماتي ومعرفتي، وتربيتي وخلقي – كلها ستكون سبباً ان القى لدى هذه السيدة النابهة الذكر الطيبة الاسم، ترحيباً حاراً ولو اقمت في بيت خاص وطرق سمعها ذلك لاصيبت في عزتها (٢٧٥).

لقد قدم سون نفسه الى خادمين في باب عادلة خانم فدعياه للجلوس ثم ذهبا ليعلما عادلة خانم بمقدمه. ثم عادا ليبلغاه انها مسرورة ان تسنح لها فرصة لقيا فارسي من شيراز، وهو اول من يشاهد في ديارها.

لقد خصصت له غرفة في بيت طاهر بك وهو احد أبناء زوجها، ويسترسل سون في وصف الغرفة التي فرشت سجاجيدها وجيء بالشاي وبعد قليل ارسلت السيدة عادلة مرة أخرى تقول انها ستراني عند الصبح من اليوم التالي في مقابلة خاصة وهو تعبير (نسبي) ينم عن التوقر والاعتلاء (٢٧٦). وبعد ان التقت سون في مقابلة لأكثر من ساعة نهضت وهي جد مشوقة الى ان تعرف ان كان مرتاحاً تماماً واصدرت أوامرها بشان سجاد جديد وفراش افضل ثم انسحبت وامرته ان يعود الى الديوان الرسمي الذي تعقده كل يوم عصراً (٢٩١) وتحت عنوان (سيدة عظيمة) يذكر سون عبارات الترحيب التي استخدمتها عادلة خانم التي جعلته يشعر بروح الضيافة العالية في ديوان هذه الامرأة. كما يذكر سون ان الضيافة من عادة هؤلاء القوم ويقصد هنا - عشائر الجاف اذ يقول بينما كنت عائداً الى غرفتي لقيني احد المعينين وطلب مني ان ازور طاهر بك الابن الثاني لعثمان باشا من زوجته الأولى، ثم يقول، وعلى عادة هؤلاء القوم فان لطاهر بك بيت مفتوح يختلف اليه الزائرون في جميع الاوقات، نهاراً (٢٩١).

وكان طاهر بك يدعو سون لحضور مجلسه عصراً ولايخفي سون في ذكرياته عن مدينة حلبجة مشاعر الود التي حظي بها من قبل علية القوم هناك من الناس في المدينة.

لقد تركت رحلة ويگرام إنطباعات واضحة لديه عن روح الضيافة التي يمتلكها الكُرد وزعماء الكُرد، فقد زار ويگرام عدداً من القرى الكُردية والتقى عدداً كبيراً من الكُرد في مناطق مختلفة من كُردستان اذ تجول فيها.

يذكر ويگرام (في العقد الاول من القرن العشرين) في مذكراته رحلته الى بارزان والتقائه بالشيخ عبد السلام البارزاني الذي كان غائباً عن داره لسفره الى العمادية، ثم التقى به من بعد على ان نائبه -نائب الشيخ- وهو إمام كبير كان هناك فاستقبل ويگرام.

يذكر ويگرام بهذا الصدد، رحب بنا ترحيباً حاراً وكان صديقاً قديماً لبعض مرافقينا وحذا حذوه الملا الشاب وزمرة من الاتباع ذوي المظهر الخشن الذين يؤلفون جزءاً من البطانة المعتادة. وبطبيعة الحال لم يكن بمقدورنا المرور بالمنزل دون ان ناكل الا اننا بسبب عجلتنا ورغبتنا في التقدم رجونا من مضيفنا رجاءً خاصاً ان يزودنا بطعام سهل التهيئة سريعها وعددنا تنفيذهم هذه الرغبة لنا برهاناً حقيقياً على ودهم فأتونا ببيض وخبز وعسل وشاي.

ويستطرد ويگرام، ان رجلاً خطير الشان يريد اكرامك بالشكل المتعارف عليه، المتفق والتقاليد، لايرضيه ان يقدم لك مثل هذا الطعام المختصر وربما ابقاك تنتظر لتذبح لك شاة وتطبخ. وعندما قمنا للانصراف خرج معنا الامام والملا حتى شجرة معينة في ظاهر القرية لكي (يضعانا على الطريق) كما يقولون ولكل بيت من البيوت المعتبرة في هذه الانحاء نقطة معروفة لايتعداها في الاتصال بالضيوف والزوار منها يستقبل صاحب البيت ضيفه ومنها يودعه.

وقد ارسل نائب الشيخ حارساً مسلحاً من الخاصة (المشيخية) أي (المريدين) يضع على راسه عمامة حمراء دليلاً على كونه من حرس الشيخ الخاص يرافقهم في رحلتهم (١٣٠).

ويبدو ان ويگرام قد التقى بالشيخ عبد السلام البارزاني في قرية (سواري) قادماً من العمادية. ويذكر ويگرام ان انباء وصولهم قد سبقتهم واستقبلهم وفد من لدن الشيخ ويسميه ويگرام (قداسته) ونقل الوفد دعوة منه كي ينعموا بضيافته تلك الليلة وقد استقبلهم الشيخ على رأس درج حجري خشن المرتقى محيياً مرحباً وقادهم بنفسه الى الطابق العلوي من الدار ورجاهم ان يجلسوا على المطارح التي بسطت لهم حالاً قبالته (١٣٤).

ويضيف ويگرام، كان تنازلاً عظيماً من رجل عظيم ان يلقانا على رأس الدرج. ان اغلب الشيوخ البارزين يتعمدون ان يكونوا خارج الغرفة عندما يدخلها الزوار الاوربيون لئلا ينهضوا في استقبالهم مؤكدين بذلك تقدمهم عليهم. لكن الشيخ البارزاني كان يدخر لنا تكريماً اسمى من هذا بتنازله الى تناول طعامه معنا وهذا ما اصاب اتباعه بتردد واضح، كيف يمكن ان يأكل قداسته مع اثنين من الكفار (كاور)؟ (١٣٥).

ويبدو ان اتباع الشيخ لم يسبق لهم ان رأوا شيخهم يتناول الطعام مع اناس من خارج الدين الإسلامي وربما عدوا ذلك امراً مستحيلاً أو من الاعمال التي لايمكن للشيخ ان ياتي بها وهذا بطبيعة الحال فهم غير صحيح للدين الإسلامي، كان الشيخ المناضل القومي عبد السلام البارزاني قد تجاوزه.

لقد كان لجيمس برانت إنطباعات عن الضيافة الكُردية وجيمس برانت جاب مناطق عديدة من كُردستان تركيا في النصف الاول من القرن التاسع عشر (١٨٣٨)، ودون بداية إنطباعاته في هذا المجال عندما لاحظ ان رشيد باشا، باشا مدينة موش* الكُردية ارسل من يرحب ببرانت ثانية لان الباشا كان في المسجدّ. وكان يرغب في معرفة الوقت الذي سيزوره فيه وفي الساعة المحددة بالضبط جاء المسؤول لياخذه الى قصر الباشا الواقع في قرية جميلة تسمى (موكي يونك) (٢٨).

* موش مدينة في كردستان تركيا.

ان من الامور التي جذبت انتباه برانت ان الباشا كان معنياً بخدمة الحاضرين على المائدة أكثر مما يعنى بنفسه ولاينسى برانت ان يذكر مظاهر الاحتفاء به وهو يودع الباشا (٣٢).

وعندما وصل برانت مدينة (اليجه) وهي بدورها من المدن الكُردية في كُردستان تركيا كان شيخ الجامع غائباً عن المدينة، فذكر برانت ان ابن الشيخ خصص لهم مكاناً ساحراً وسط حديقة غناء باشجار الفاكهة المتنوعة وعين ماء تنبع من تحت صخرة كبيرة ثم يذكر برانت ان وجهاء المدينة توالوا على زيارته زيارات مجاملة (٤٨).

وعندما وصل برانت بلدة (خيني) امر شيخ جامع المدينة بتزويد برانت ورجاله بما يحتاجونه من طعام ومتاع. ولبث برانت ليلة في هذه المدينة ويذكر ان ما شجعه على المبيت جمال المكان وبهجته لان شيخ الجامع كان رجلاً بشوشاً ومتحضراً، ولايخفي برانت تدهور الحالة المعاشية للمواطنين في هذه البلدة (٥٤).

ويصف برانت زيارته إلى قرية (كيزين) ويذكر على الرغم من كونها بعيدة عن الطريق العام، إلا انها كانت موئلاً لزوار المنطقة. يذكر برانت انه سبق وان التقى بمسؤول القرية (ربما مختار القرية) ويقول لقد وجدته آنئذ كما اجده الآن رجلاً دمث الخلق قواماً على تقديم المساعدة لتلبية متطلباتنا الى الحد الاقصى من امكانياته (٦٢).

حط برانت في قرية (بو كلام) وهي قرية تضم ستين عائلة كردية ويقول برانت لقد هيأ لنا المختار افطاراً شهياً جداً وكلف ابنيه وكانا شابين كرديين وسيمين يفيضان رقة ودماثة خلق بالسهر على راحتنا وخدمتنا (٧٧).

وعندما وصل برانت مدينة (تبليس) التقى بشريف بيك. (بكوية) تبليس التابعة الى (باشوية) موش. لم يكن البيك موجوداً أثناء وصول برانت وحلوله ضيفاً في قصر البيك (٩٥) ويذكر برانت حال وصولهم قدمت لهم وجبة افطار فاخرة جداً، وقف على خدمتهم أثناء تناولها ابن البيك وهو طفل يقدر عمره بـ(٤-٥) سنوات وشخص ارمني من خدم البيك كان يقف خلف الطفل وكان الطفل جالساً بكل وقار فوق مقعده لاعباً بكل إحترام دور المضيف. ويضيف برانت قائلاً، يبدو ان الكُرد يرسخون مثل هذه التقاليد في نفوس ابنائهم منذ طفولتهم المبكرة (٩٤).

وفي الموضوع ذاته يذكر برانت انه ورجاله تناولوا العشاء قبل وصول البيك من سفره وعند زيارته الأولى لهم وهم في الجناح المخصص لهم، تلطف بالحديث معهم في حين كان الطباخون يعدون العشاء وقد شاركهم في تناول الطعام الباشا ثم صعدوا الى سطح الدار للتمتع بنسمات الليل العليلة (٩٥).

ثم يصف برانت توديع البيك اذ غادر برانت في الصباح الباكر وخرج البيك من حريمه لتوديعه وتناول القهوة معه ويعلق برانت على قيمة الضيافة هنا قائلاً، لقد استضافني شريف بيك بكرم ولطف ونبل اذ لبى كل ما طلبته وعندما اردت اهداءه شيئاً ضئيل الاهمية وجدت صعوبة كبيرة في اقناعه بقبوله ويضعنا برانت امام مقارنة غير مباشرة عندما يتحدث عن مروره بقرية (كارزيت الارمنية) في المنطقة نفسها فلكي لاتستضيف هذه القرية الضيوف كانت تخبرهم بان مجموعتهم قد سبقتهم وتركوا لهم وصية في ان يستمروا دون توقف على السير للحاق بهم في اقرب وقت.

ويعلق برانت على هذه المسالة، ان هذا الخداع سبق وان مورس أكثر من مرة معنا لمنع اقامتنا بينهم لانهم لم يكونوا متاكدين من اننا سوف ندفع لهم ثمن ما كانوا سيضطرون الى تقديمه لنا من مواد غذائية أو خدمات.

ومع هذا فان برانت يحاول ان ينصف هذه القرية الصغيرة جداً التي تتكون من (١٠-١٢) اسرة ارمنية اذ يقول، لقد كانت القرية بائسة جداً وقذرة جداً وكانت فيما بدا لنا هناك حاجة شديدة جداً عند أبنائها للحصول على ضروريات الحياة لذا اضطررنا إلى مواصلة السير (١٠١) والحقيقة نستغرب من وصف برانت لهذه القرية بأنها كانت قذرة جداً لأننا نرى في الارمن شعباً محباً للنظافة جداً.

وفي طريق برانت إلى مدينة (وان) الكُردية توقف في (ارتيميد) وكان يرغب بالالتقاء بباشا المنطقة (اسحق باشا) ولكنه اعلم ان الباشا كان قد سافر ولذا جاءه محاسب الباشا وقد أرسل برانت تحياته إلى الباشا وطلب منه أن يأمر بتهيئة مكان له ولرجاله وسط الحدائق لنصب خيامهم وجاء الحاكم المحلي مسرعاً ليرحب بهم وفي المساء عاد المحاسب وهو يحمل تحيات الباشا ويبلغه أن مسكن وحديقة طبيب الباشا قد خصص لإقامتهم وفي الصباح الباكر يذكر برانت، قدم إليهم الـ(موهرجي) أي حامل أختام الباشا ليرافقهم الى (وان*) وليبلغهم تحيات الباشا وامنياته لهم برحلة سعيدة (١١٠).

وفي زيارة برانت لمدينة وان يذكر برانت انه بمجرد نزولهم في موقعهم الجديد جاءهم طيفور بيك ابن الباشا مرحباً بحلولهم بين ظهرانيهم نيابة عن ابيه وذكر لهم ان اباه سيزورهم عند المساء. وأجابه برانت انه يرجوه عدم تجشم عناء ذلك عارضاً عليه نيته في زيارة الباشا في اليوم التالي لإبلاغه بتأثره العميق بما غمره بهم من حسن استقبال وضيافة.

ويعرض برانت إنطباعاته عن زيارته للباشا فيذكر انه ذهب إلى قصر الباشا في الساعة

* وان: مدينة تقع في كردستان في تركيا.

العاشرة صباحاً واستقبل من قبله في الجناح المكشوف، لقد كان الباشا مؤدباً جداً في استفساراته وعروضه لخدمته.

كان رجلاً في الستين من عمره من أهالي مدينة وان وأن سلوكياته وتصرفاته الشخصية تنم عن طيبة ظاهرة وأخلاق كريمة.

ثم يذكر، لقد عرض علينا الباشا بكل أدب أن نستعمل الحمام الخاص في قصره، ولقد صادف ان التقى برانت مع الأمير الكُردي سلطان آغا، الذي وجه الدعوة الى برانت لاستضافته في مضاربه خارج المدينة ومن سمات الضيافة وحب الضيف التمسك به وعدم السماح له بالرحيل قدر الامكان هذا ما لاحظه برانت لاسيّما عند الباشا وان يبقى لفترة اطول بيد ان برانت اعتذر منه (١١١).

ان برانت في احدى الأمثلة التي يذكرها في رحلته الى كُردستان انه عندما حط في بلدة خينيس التابعة الى باشوية موش في كُردستان تركيا فان الـ(بيك) وهو شقيق أمين باشا حاكم موش كان غائباً ووكيله كان مريضا طريح الفراش فارسل ولده الى برانت لابلاغه غيابه وتمنياته عارضاً خدماته ثم زودهم بالخراف والحليب والبيض ومنتجات غذائية أخرى لكي يتسنى لهم مواصلة السفر. ويعلق برانت على تصرفات وكيل البيك بانه كان رجلاً حضارياً (١٨-٢٠).

ان القيام بمهام الآغا أو البيك أو المسؤول من قبل شخص آخر مخول شيء مألوف، فعند غياب الآغا لاتقفل الديوانخانه.

سبق وان ذكرنا بعض الإنطباعات التي قدمها هَيْ في بداية هذا الفصل لاسيّما عن (الديوانخانه) المضيف وأهميته. اما عن الضيافة الكُردية فيذكر انها من احسن الملاح في الطبع الكُردي، وعلى الرغم من ان هذه العادة مما يستحبها الدين الإسلامي وهي شائعة بين الشعوب المحمدية لكن الأكراد دفعوا بها قدماً، ويضيف ان الزعيم الكُردي يعد المرور من امام بيته، من دون الوقوف وشرب كوب من الشاي اهانة عظمى.

ويصف هَيْ زيارته الى إبراهيم آغا زعيم عشيرة الدزَيي، يقول ها قد وصلنا فجأة وهذا إبراهيم آغا الطاعن في السن يخرج مرحباً بنا بصوت عال ويسال عن الصحة ثم انه يعمد في الوقت نفسه الى اصدار أوامر سريعة الى اتباعه بالاتيان بالبسط والمخدات ومن ثم يقودنا الى غرفة الضيوف الرئيسية.

ان ارضيتها عارية نظيفة من دون اي بقعة شائبة وبينما نحن ننتظر يعمد هو إلى تقديم السكائر (٧٠).

ويصف هَيْ انهماك الخدم بوضع البسط والمخدات سريعاً ووضعها بمحاذاة جوانب الغرفة وصدرها كما فرشت في الصدر سجادات خاصة لنا وكان ان خلع هَيْ ومن في معيته احذيتهم وجلسوا القرفصاء وترش الارضية بالماء لتبقى الغرفة نظيفة وباردة.

يضع هَيْ ثلاث قواعد ويحذر القاريء من نسيانها عند زيارة زعيم كردي.

اولاً: الا تمد رجليك إزاء أي شخص اخر.

ثانياً: الا تحمل طعامك الى فمك باليد اليسرى.

ثالثاً: لاتداعب كلباً ما (٧١).

فان روعيت هذه القواعد كان تصرفاً مهذباً لن يمس شعور المضيف.

نعتقد ان هناك قواعد أخرى في آداب الضيافة يعرفها الكُرد وتقع ضمن تقاليد الزيارات بيد ان هذه القواعد الثلاثة التي اشار اليها هَيْ جاءت على ما نعتقد نتيجة قيام هَيْ بها وملاحظته لردود افعال المضيفين الكُرد لها، أي انها ليست القواعد الثلاث الوحيدة، فالاجنبي على ما نعرف يجلس بالطريقة التي تريحه دون الاكتراث إلى ما إذا كانت رجله ممدودة بإزاء شخص ما، وكذلك يأكل الكثير من الأوربيين باليسرى لانهم يقطعون الاكل غالباً باليمنى ثم انهم أي الأوربيين يداعبون الكلاب ويرغبون في ملاطفتها.

يرغب الكُردي ان يحتفي بضيفه، ولعل (مأدبة) الطعام هي خير وسيلة للتعبير عن مقدار الاحتفاء بالضيف ومن هنا ياتي الحاح المضيف باستبقاء الضيف العجول، هنا يذكر هَيْ عما يصادفه احياناً من مواقف ترغمه على الانتظار، اذ عند زيارته الى إبراهيم آغا ان الوقت كان الظهيرة وأن اول شيء علينا القيام به هو اشعار مضيفنا باننا لانرغب في طعام حفيل والا فاننا لن نحصل على ما ناكل حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، ويعطي هَيْ مثالاً على ذلك اذ يقول، لقد دهاني مثل هذا غالباً، اذ وصلت مرة من المرات الى قرية ومن دون علمي، عمد زعيمها الى اصدار الامر بذبح خروف، وبعد نصف ساعة استأذنت بالانصراف والرحيل فكان جواب مضيفي، لايمكن ان ترحل، لقد ذبحت خروفاً من اجلك ولايجوز ان يذهب ذلك كله بداً، وعلى ذلك يقول هَيْ كان عليه ان ينتظر لمدة ساعتين اخريين أو ثلاث فان وعدناه بالبقاء للعشاء فانه يوافق على يطلب لنا غذاءً خفيفاً.

ويصف هَيْ الحرص على الخدمة في المضيف فيذكر ان هناك شابا أو شابين يقفان على مسافة محترمة يرقباننا وهما على استعداد لان يهرعا الينا بالسكائر الطرية بعد اشعالها في فمهما وذلك قبل ان نفرغ من تدخين سكائرنا تماماً يضاف اليهما بعض الخدم وهم في شغل شاغل يعدون القهوة وكذلك يقرر هَيْ ان الحديث والحوار هو جانب من اسس الضيافة فلكي

تكون مضيفاً كردياً جيداً يجب ان تستمر في الحديث والحوار مع ضيفك. وكذلك فان القهوة واصول تقديمها للضيف هي بدورها تعتبر إحترام المضيف للضيف، اذ يحمل احدهم الصينية التي رصت عليها فناجين القهوة ويقوم احدهم بتقديم فنجان القهوة للضيف باليد اليمنى واضعاً يده اليسرى على قلبه تعبيراً عن المودة والإحترام. ان هَيْ في الواقع يضعنا امام صورة مجسدة لقيمة الضيافة الكُردية فهي حرص وإحترام ومودة وسهر على راحة الضيف(٧٢).

يصف هاملتون (اواخر عشرينيات القرن العشرين) في مذكراته الشعب الكُردي، شعب مضياف وعاطفي ويضعنا هاملتون امام صور متعددة من الضيافات الكُردية ولعل الصورة الاتية تعبر بوضوح عن تأصل قيمة هذه الضيافة في الشخصية الكُردية.

يقول هاملتون، عندما بلغنا رايات* كان الثلج يتساقط غزيراً وكنت قد بعثت برجل لاخطار رئيس البلدة (علي اغا) لمجيئنا، لان الكُردي يود دائماً ان يعلم مسبقاً بموعد مجيء ضيوفه ليهيء طعاماً ويقوم بما يضمن راحة ضيوفه.

وخرج علي آغا لاستقبالنا سائراً فوق الثلج وكان رجلاً طاعناً في السن عليه سيماء الوقار وكان يرافقني (يونس أفندي) وهو كردي معروف من قادة ثورة الشيخ محمود، وعرفني يونس بعلي آغا وتبادلنا التحيات، ووجدت في لغة هذا الرئيس الكُردي جمالاً وبساطة تنسجم مع عظمة ما يحف بنا من مظاهر الطيبة قال وهو يحني رأسه واضعاً يده على صدره كلمات ترحيبية ثم قال، فليتفضل سعادتكم الذي هو من رجال الحكومة بتشريف بيتنا فنحن في خدمتكم بتقديم الطعام والسكائر والشاي وبكل ما املك هو امامكم، لقد جئتم من محل بعيد وانتم تشكون البرد وتحتاجون الى الراحة، ادخلوا باب داري المتواضعة وشاركوني في الجلوس بالقرب من النار ولاترحلوا هذه الليلة.

ثم سار بهم الى غرفة ضيوفه، ويصفها هاملتون بانها كانت مفروشة بكثير من السجاجيد وكانت دافئة جافة فيها سماور كبير يتصاعد من شايه البخار فيشيع في النفس احساساً بالراحة وقد نهض الضيوف المتربعون على الابسطة إحتراماً الى الضيوف الجدد الذين اخذوا مكانه في صدر المجلس وكان عددهم كبيراً على ما يذكر هاملتون ثم جلس الى جواره علي آغا ثم جلس الضيف وتبادل كل من هاملتون وعلي آغا التحيات مجدداً والايدي فوق مكامن القلب ويصف هاملتون العشاء وشرب الشاي الى ان يصل الى عبارة - ثم أقرأني تحية الليل بكل تأدب (١٢٩-٣٠).

يتحدث ليج (١٩٤٠) عن الضيافة والتزاور في كُردستان لاسيّما في الريف اذ يذكر ان الفلاح في ليالي الصيف يستقبل زواره على سطح الدار، اما في النهار أو عندما يكون الجو

* رايات: مدينة في كردستان العراق.

بارداً فأن أي ضيف على جانب من الاهمية يؤخذ الى غرفة خاصة، وما ان يصل الزائر حتى نجد مجموعة من الاشخاص قلة أو كثرة قد تواجدوا مجتمعين بالزائر.

وعندما يكون المناخ حاراً فأنك تجد مجموعات من الناس وقد التقت -أثناء النهار- في أي مكان ظليل تحت شجرة تطل على بركة ماء أو على سطح دار تظلله الاشجار، هذه المجموعات التي هي من عوام الناس تبدو على نوعين الأولى مجموعة قادة أو أكابر القوم في القرية والمجموعة الثانية هي المجموعة الاوطأ منزلة.

وفي تقاليد النظام العشائري فإن الآغا أو رئيس القرية عليه ان يملك مضيفاً والذي يجتمع فيه رؤساء العوائل أو اقرباء الآغا ولكل زائر الحق في ان يجلس.

وفي منطقة راوندوز يبدو هذا المضيف اساساً له اعتباره الإقتصادي ومصدراً من مصادر الوجاهة للاغا المضيف (١٠٣-٤).

ان الاشخاص الذين يكثر تواجدهم في المضيف والذين أسماهم ليج بالمجموعة الأولى وهم رؤساء العوائل واقرباء (الاغا) هم في الحقيقة صناع سياسة القرية أو العشيرة وتبحث بينهم كل المصالح المشتركة واشكال التعاون والاراء والخطط. وبالطبع فأن ضمن الجماعة هذه هناك فروق فردية بين الاشخاص أي بين اعضاء هذه الجماعة تؤخذ بالاعتبار هذه الفروق واشكال التضاد والتقاطع في الاراء بين الاعضاء بشكل يخدم المجموع.

ويذكر بارث (١٩٥٣) ليس مهماً في أي ساعة من ساعات النهار يصل الضيف. فهو يشرب الشاي على الاقل. ويوجد نوع من الاتكيت في مثل هذه الزيارات أو الاستضافات وهي تختلف من منطقة الى أخرى. ففي بعض المناطق يكون من المتوقع ان يغادر الضيف بعد ان يشرب ثلاثة اقداح (استكانات) من الشاي، وفي مناطق أخرى فأنهم يصرون على ان الشيء المؤدب الوحيد هو احتساء اقداح من الشاي يتراوح عددها بين ٧-١١ قدحاً (استكان). ان عملية توزيع الشاي تعطي الفرصة للتعبير عن مستوى الوجاهة ومستوى الإحترام المقدم للضيف وكذلك في حضور الضيف تجد ان الجالسين في المضيف أي من اهل القرية واحدهم يكلم الاخر بمستوى رفيع ويكون التنادي على بعضهم البعض بالقاب مشرفة.

على مدار الجلسة السكائر المصنوعة من التبغ الكُردي الجاف تدخن. وتكون الجلسة محتشدة في جو نصف مظلم والنقاش يغلب عليه الفرح والنار تخمد فيتصاعد الدخان ويصبح الجو ثقيلاً تماماً (١٠٤).

ويتحدث بارث عن حالات تكون فيها الضيافة على مستوى ارفع مما تقدم، وذلك عندما يكون في مقدور رجل مهم ان (يخصص داراً للاستضافة) فتكون هناك غرفة صغيرة ونظيفة

قد اعدت للضيف وعادة يكون الضيف على جانب من الاهمية وهنا تختلف الحالة فلايمكن لاي شخص من القرية ان يحضر مجلس الضيافة هذا. ويأتي بارث بمثال عن رئيس لعشيرة الهماوند فقد وجد عنده مثل هذا المضيف الخاص الذي لايمكن ان يكون لكل الضيوف بل للخاصة منهم.

ان هذا النوع من الاستضافة الخاصة أي التي لاتكون في المضيف العام يمكن ان يشاهد في القرى، أي عند السكان المستقرين أكثر من مشاهدته لدى القبائل.

يؤكد شميدت على تقاليد الاستقبال و الاصطحاب في الضيافة، فعندما استقبل من قبل الرجال الكُرد عندما دخل الاراضي الكُردية العراقية من سوريا كان ماخوذاً بمنظر الأكراد المئة الذين صافحوه بإحترام عال وبمزاج من الرقة والمودة. ويصف ذلك بقوله، كان منظرهم مهيباً (٥٢) وفي موقع اخر يذكر ان المصافحة الكُردية تتسم بالحرارة (٢٩).

والحقيقة فان هؤلاء المئة كانوا يمثلون الخط الثاني من المستقبلين فقد وضع لاستقبال هذا الصحفي خمسون رجلاً على خط التماس مع الحدود السورية اساساً (٢٩).

وكان شميدت معجباً بالمرافق الذي سيرافقه في الرحلة على البغال في ارجاء كُردستان وكان يبدو وقوراً رزيناً (٤٥) وهو يذكر إنطباعاته عن القرويين الكُرد في هذه القرى الفقيرة قائلاً، ما ان نصل حتى يتم فرش البسط والمطارح على وجه الاستعجال وتكون الجلسة على شكل حرف U في باحة البيت أو في الشرفة أو حول عين ماء.

اما هانسن فقد كانت معجبة جداً بالعناية الفائقة التي اولتها العائلة التي استضافتها وما وصفته في هذا المجال، ان افراد الاسرة كانوا يرافقونها الى ان تصل كل ليلة الى فراشها في غرفة نومها حين تخبرهم برغبتها في النوم تذهب معها امراتان والام وابنتها والبنتان الصغيرتان والخادمة ومعهم الفانوس ويتاكدون بنفسهم من وجود الماء الذي ستغسل به في الصباح وكان احياناً يرافقهم عم الاولاد الذي كان يتأكد من سلامة النوافذ (٢٨).

بعد ان استعرضنا الإنطباعات المتاحة إزاء موضوع الضيافة لابد من وقفة استنتاجية.

لم نجد اشارة واحدة لمستشرق أو رحالة يذكر ان الكُرد قوم غير مضياف بل هناك إجماع تام على تمتع المجتمع الكُردي بروح مضيافة عالية كما اننا نجد بعض الاشارات لدى بعض المستشرقين ان الكُرد أكثر حباً للضيافة من الاقوام التي يجاورونها.

والضيافة في المفهوم الكُردي لاتقتصر على اطعام الضيف وايوائه بل هي قواعد في الاستقبال والتوديع وتقاليد في الجلوس والاكل، ثم هي حوار وحديث وان كان من الممكن تسلية الضيف من خلال احضار مغني القرية للغناء كلها تقع ضمن مفهوم الضيافة الكُردية.

وتتسم الضيافة الكُردية بالبذخ والاكرام، فهناك ولائم باذخة وكذلك هدايا تهدى للضيف واظهار روح عالية من الود.

ولاينتظر الكُردي ان يطرق بابه كي يستضيف بل ما ان يقترب غريب منه حتى يهب لاستضافته ولم يسجل المستشرق والرحالة حالة واحدة من حالات الاعتداء على اجنبي يزور كُردستان.

والمضيف (الديوان خانه) يعد من تعابير قيمة الضيافة، هذا ما نجده عند الكثيرين في القرية أو المدينة من الموسرين أو الفقراء فان تعابير الضيافة تتجلى لديهم بالهبة الى خدمة الضيف وكثرة (الاحتياطي) من افرشة النوم.

ان غياب صاحب الدار لايلغي واجبات الضيافة فان ابن صاحب الدار حتى ان كان طفلاً أو زوجة صاحب الدار يمكنها استضافة الضيف ويتحمل المضيف المسؤولية كلها عن رعاية حياة الضيف طيلة بقائه.

ان ضيف الرجل المسؤول في القرية أو المدينة يعامل وكانه ضيف على كل اهل القرية أو المدينة فالكل مطالب بتقديم المودة والخدمة والإحترام وقد عرف الكُرد تقاليد (الضيافة الرسمية) والاستقبال والتوديع الرسميين، هذا ما وجدناه واضحاً في حلول ريج ضيفاً على حكومة بابان واميرها وكذلك ظهرت علامات منها في رحلة برانت وزيارته لبعض الباشوات في منطقة كُردستان تركيا.

لقد قارن بعض المستشرقين والرحالة بشكل مباشر وغير مباشر بين القرى الكُردية وغير الكُردية في مجال الضيافة وظهر ان القرويين الكُرد أكثر حباً للضيوف من القرى التركية والأرمنية والفارسية.

ومن خلال الاطلاع على معظم المصادر المعنية والمذكرات يمكن ان نقف على عناصر الضيافة الكُردية هذه العناصر التي جاءت بشكل مباشر أو غير مباشر في مدونات الرحالة والمستشرقين:

اولاً: الكرم والبذخ في الطعام طوال اقامة الضيف.

ثانياً: هالة واسعة من الإحترام واحاطة الضيف بمشاعر الأبهة.

ثالثاً: الاصرار والالحاح على الضيف ان لايغادر وان يطيل من مكوثه.

رابعاً: الالحاح عليه عند المغادرة بالعودة ثانية.

خامساً: تقديم الهدايا للضيف.